المواقع الحضارية في منطقة وادي ريغ، فترتي ماقبل التاريخ والعصر القديم

د.معاذ عمراني

جامعة الوادي

تاريخ الاستلام :2019/07/12 ؛ تاريخ القبول : 2019/11/23 ؛ تاريخ النشر : 2019/12/30

ملخص:

عرفت الجزائر العديد من المواقع الحضارية سواء في فترة ما قبل التاريخ أو في فترة العصر القديم، والتي كانت تدل على وجود الإنسان بالعديد من الجهات بالقطر الجزائري، ومن أهم هذه المناطق نذكر منطقة وادي ريغ بالجنوب الشرقي الجزائري التي شهدت العديد من المواقع الأثرية خاصة في فترة ما قبل التاريخ وفي هذه المداخلة سنسلط الضوء على أهم هذه المواقع، وذلك بالتعريف بمنطقة وادي ريغ أولا، ثم وصف لهذه المواقع الأثرية، وذكر أهم ما اكتشف فيها من أدوات حضارية استعملها إنسان تلك الفترة، وكذا التطرق إلى منطقة وادي ريغ في فترة العصر القديم.

الكلمات المفتاحية: وادي ريغ،الجزائر،المواقع،الاثار،الحضارية

أولا :التعريف بمنطقة وادي ريغ

يقع إقليم وادي ريغ في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية في منخفض مستطيل الشكل، طوله 160 كم، وعرضه يتراوح ما بين 30 و 40 كم، يبتدئ شمالا من قرية عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور، وينتهي جنوبا بقرية قوق[1]، يحد الإقليم من الشمال، الجنوب الغربي لشط ملغيغ، ومن الجنوب مدينة ورقلة، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب منحدر حصوي و هضبة ميزاب[2]، وأهم ما يميز منطقة وادي ريغ من الناحية التضاريسية هو البساطة والاستواء، حيث تتميز بإنحدار خفيف من الجنوب إلى الشمال وبارتفاع عن سطح البحر مقداره 35م، مع مرتفعات بسيطة لا تفوق 300م[3].

1 عبد الحميد قادري، **التعريف بوادي ريغ**، د.ط، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، د.ت، ص.1،ينظر الملحق رقم (01).

2 أبو عبد الله محمد الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج.1، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص.85، وكذلك :

Bouzid Touati ‹‹ **les potentialités hydrique et la phoeniciculture dans la vallée de l'oued Righ , Bas-Sahara algérien**›› thèse de doctorat de 3eme cycle, laboratoire de géographie physique, université de Nancy, Février 1986, P.13.

3 Rouvillois Brigol,**Oasis du Sahara Algérien**, Institut géographique National, Paris,1978,p.09.

وقد سمى ياقوت الحموي إقليم وادي ريغ بالزاب الصغير أو ريغ[4]، وسماه ابن خلدون بلاد ريغ أو أرض ريغ[5]، وسماه ابن سعيد أيضا ببلاد ريغة[6]، أما في الوقت الحاضر، فيعرف بوادي ريغ، تمييزا له عن وادي سوف و وادي ميزاب[7].

أما من حيث تسمية المنطقة، فقد تعددت الروايات حول تفسير كلمة "ريغ"، إذ يرى ابن خلدون أن سبب التسمية يعود إلى ريغة أحد بطون مغراوة، وفي هذا الصدد يقول: «وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة....ونزل الكثير منهم ما بين قصور[8] الزاب و واركلا، فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحصر من الغرب إلى الشرق، ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة والأطم، وقد رفّ عليها الشجر ونضدت حوافيها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت بينابيعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء، وبهم تعرف لهذا العهد»9.

وإن كان ياقوت الحموي يرى بأن ريغ كلمة بربرية معناها السبخة[10]، فإن العدواني يقول بأن إسم المنطقة يعود إلى رجل اسمه ريغ، موضحا بالحرف الواحد: « ثم قلت له أخبرني عن وادي ريغ ؟ وعن مسكنه ؟ قال لي : يا سيدي ريغ اسم رجل يقال له ياهوت بن شملخ من كعب بن عاوية من ولد أندلس بن يافث بن نوح ... »[11]

---

4 ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ط.1، تح: فريد عبد العزيز جندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ / 1990م، ص.129.

5 عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ بن خلدون**، د.ط، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، مج.7، ج.13، ص.98.

6 علي بن سعيد بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ص.190.

5 قادري، المرجع السابق، ص.1.

[8] يختلف مفهوم القصر هنا عن المعنى الشائع وهو البناية الفخمة، فالقصر في المناطق الصحراوية هو عبارة عن قرى محصنة، أو بالأحرى هو عبارة عن تكتلات سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية، تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات إجتماعية مختلفة، ويحيط بهذه التكتلات أحيانا سور سميك، للمزيد من المعلومات ينظر : علي حملاوي، **نماذج من قصور منطقة الأغواط**، د.ط، م.و.ف.م، الجزائر،2006م، ص.18.

9 ابن خلدون، المصدر السابق، مج.7، ج.13، ص.98.

10 الحموي، مصدر سابق، ص. 113

[3] محمد بن عمر العدواني، **تاريخ العدواني**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005 م، ص138..

كان إقليم وادي ريغ قبل الاحتلال الفرنسي، يتكون من حوالي 35 مدينة وقرية ودشرة، تشكل في مجموعها واحات وادي ريغ، ونذكر منها: منطقة المغير التي تضم (أم الطيور، نسيغة، سيدي خليل، البارد، تندلة، والمغير أيضا)، ومنطقة جامعة وبها (لغفيان، الزاوية، مازر، تقددين، سيدي عمران، تمرنة، سيدي يحي، ناهيك عن جامعة) وكذا منطقة توقرت وتشمل (سيدي سليمان، لهرهيرة، مقر، القصور، غمرة، المقارين، توقرت، تماسين، قوق ....)[12].

وتعتبر مدينة توقرت عاصمة إقليم وادي ريغ[13]، أي العاصمة السياسية والعسكرية، أما العاصمة الدينية في الفترة الحديثة والمعاصرة فهي مدينة تماسين[14] التي يوجد بها مقر الزاوية التجانية [15]

ثانيا– فترة ما قبل التاريخ:

تشير الدراسات إلى أن الحياة في منطقة وادي ريغ تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، وذلك استنادا إلى الأبحاث التي قام بها الضابط الفرنسي جونفوت (Genvot) أثناء تنقيبه عن المياه في هذه المنطقة[16]، حيث اكتشف آثار تاريخية هامة في الشمال الغربي لكدية سيدي يحي[17] بها مجموعة من الوسائل والأدوات تعود لفترة ما قبل التاريخ[18].

---

12 معاد عمراني « **أسرة بني جلاب في منطقة واي ريغ، من بداية القرن التاسع عشر إلى سنة 1962م، دراسة سياسية وإجتماعية** » مذكرة ماجستير، قسم التاريخ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 1422هـ-1423هـ/2002م-2003م، ص90.

13 تقع مدينة توقرت في الجنوب الشرقي الجزائري، حيث تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 620 كم، وقد تعددت الروايات حول تفسير كلمة توقرت، فهناك من ينسبها لامرأة جميلة سكنت توقرت، اسمها البهجة، وهناك من يقول أن معناها هو القمر أو الجوهرة، لكن الراجح أن كلمة توقرت مصطلح أمازيغي، ومعناه المنطقة القاسية والتي تصعب فيها الحياة، للمزيد من المعلومات حول مصطلح توقرت ينظر: معادعمراني « **البعد الأمازيغي في أسماء مدن و قرى وادي ريغ ووادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري**» أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي أيام 03 – 04 – 05 ديسمبر 2012م، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري بتيزي وزو .

14 تبعد تماسين بحوالي 12كم جنوب توقرت، وقد تعدّدت الروايات حول تسمية تماسين، لكن الراجح منها هو أن كلمة تماسين مصطلح أمازيغي، ومعناه المنطقة التي تكثر بها المياه الجوفية، للمزيد من المعلومات ينظر: عمراني « **البعد الأمازيغي** ....»، المرجع السابق.

2 Zaccone (J), **de Batna à Touggourt et au Souf**, librairie militaire j.dumaine, Paris, 1865 , p.224

وتتمثل هذه الأدوات في مجموعة من السهام المحددة والجميلة وبأشكال وألوان مختلفة، جماجم وبها أسنان بارزة وطولها 0,07، أدوات مقطوعة وبها رأس، محك (مكشط) ومجموعة من المديات برؤوس محددة وجميلة، أسنان أسماك، بقايا صدفات بيض النعام، صوان معالج (مستعمل)، مسامير[19].

كما تم اكتشاف موقع أثري هام آخر بلورير[20] بالقرب من قبة سيدي المخفي على الضفة الغربية لشط ملغيغ[21]، ويأتي في المرتبة الثانية من الأهمية بعد موقع كدية سيدي يحي، حيث اكتشف فيه نفس الأدوات التي اكتشفت في هذا الأخير، كالحجارة المصقولة بيد الإنسان، والصوان الذي وجد مشتتا على الأرض[22]، وفي ضواحي لورير في قرى أولاد موسى وبئر مروان[23] وجدت أيضا سهام، مسامير، وكمية معتبرة من الصوان المحدد، وبيض النعام، والصدفات[24].

---

16 أول بئر حفر في منطقة وادي ريغ كان في سنة 1856م بمنطقة تمرنة التي تبعد بحوالي 40 كم شمال توقرت، لمعرفة الآبار التي تمّ حفرها في سنتي 1856 و 1857م، ينظر: جريدة المبشر، ع.245، 15 نوفمبر 1957م.

17 تبعد قرية سيدي يحي بحوالي 60 كم شمال توقرت، و سميت بذالك نسبة للولي الصالح يحي، ينظر: محمد الطاهر بن دومة، **مذكرة أخبار تاريخية لواحة توقرت وبعض ضواحيها**، تح: محمد السعيد بوبكر، محمد الطاهر عبد الجواد، المطبعة العصرية للواحات، توقرت، 1415هـ/ 1995م، ص.33.

4 A.O.M, B.N° 10H76,stations préhistorique de L'Oued Rir, et (H) Jus, **stations préhistorique de L'Oued Rir**,in Revue d'ethnographie,T.6,Paris,1887,pp.344-343.

19A.O.M, B.N° 10H76,stations, op.cit.

20 لورير تقع على مسافة 12 كم عن المغير في اتجاه الشمال.

2 شط ملغيغ عبارة عن بحيرة قرب مدينة المغير بالجنوب الشرقي الجزائري، تتوسط مدن بسكرة، المغير، وادي سوف، وتتمدّد حتى الحدود التونسية، وهو شط واسع الأرجاء، يقع دون مستوى البحر بـ31 مترا، تحيط به الكثبان الرملية، وتظهر على حوافه النباتات الصحراوية المتنوعة، وتصب فيه الأودية الصحراوية القادمة من الشمال إلى الجنوب، كوادي العرب و وادي الأبيض، المنحدران من جبال الأوراس، للمزيد من المعلومات، ينظر: عبد القادر حليمي، **جغرافية الجزائر(طبيعية، جغرافية، اقتصادية)**،ط.01، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968م،ص ص.56-57.

3 A.O.M, B.N° 10H76,stations, op.cit.

23 ينظر موقعها في الملحق رقم (1)

5 A.O.M, B.N° 10H76, stations, op.cit.

وبالقرب من بلدة سيدي خليل[25]، اكتشفت في قرى القلعة والحمد وبوهرارة ولشلوش وعين دكارة، أدوات تعود لفترة ما قبل التاريخ، تمثلت في سهام، ومحك (مكشط)، وشفرات (صفائح) مديات برؤوس محددة (مصقولة) وبقايا بيض النعام وحجارة مصقولة، غطّت جميع هذه القرى[26].

وفي سنة 1884م تم اكتشاف موقع أثري هام بين سيدي راشد[27] والهرهيرة [28]، يحوي على حجارة مصقولة مشتتة بين رمال الكثبان، سهام، قواقع، بيض النعام [29]، وبين سنتي 1885م و 1886م، قام نفس الضابط الفرنسي جونفوت (Genvot) بأبحاث أخرى في جميع قرى وادي ريغ، إلا أنه لم يعثر على مواقع أثرية جديدة[30]، وتبقى كدية سيد يحي ولورير والمنطقة الواقعة بين سيدي راشد والهرهيرة من أهم المواقع الأثرية، التي دلت على وجود الإنسان بهذه المنطقة منذ أزمنة غابرة.

ثالثا– منطقة وادي ريغ في العصر القديم:

تتميز المصادر الكتابية المتعلقة بسكان المغرب القديم عموما بالندرة والغموض، وهي على اقتضابها يخالطها التناقض أحيانا، ورغم أنه يوجد من الكتاب اليونانيين القدامى من أبدى اهتمامه بالمغرب القديم وسجّل أخبارا عن سكانه[31]، إلا أن ذلك يبقى غير كافي، ذلك أن مجمل ما وصل إلينا من تلك المصادر يتصف بالعموميات وقلّة الدقة[32]. وبما أن منطقة وادي ريغ[33] جزء لا يتجزأ من المغرب القديم، فإنها لا تشذ عن القاعدة، فالمعلومات في هذه الفترة

---

25 تبعد سيدي خليل بحوالي 90 كم شمال توقرت و سميت بذالك نسبة للولي الصالح خليل الذي عاش في القرن السادس عشر ميلادي، ينظر: قادري، **التعريف بوادي ريغ**، ص ص.46- 47

8 A.O.M, B.N° 10H76, stations, op.cit.

1تبعد سيدي راشد بحوالي 25 كم عن توقرت في اتجاه الشمال، و سميت بذلك نسبة للولي الصالح راشد، وهي الآن عبار عن أطلال.

28 تبعد الهرهيرة بحوالي 20 كم عن توقرت في اتجاه الشمال.

29 A.O.M, B.N° 10H76, stations., op.cit.

30 وعموما، فإنه يوجد في منطقة وادي ريغ اثنا عشر موقعا أثريا قديما، للمزيد من المعلومات، يراجع :

A.O.M, B.N° 10H76, stations, op.cit, et Jus, op.cit, pp.344-343.

31 نذكر من أشهر الكتاب الذين تناولوا تاريخ المغرب القديم في كتاباتهم: هيرودوت، شرابون، بطليموس .

32 محمد البشير شنيتي، **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي**، م.و.ك، الجزائر، 1984م، ص ص. 153 – 154 .

33 لم يكن مصطلح وادي ريغ قد ظهر في تلك الفترة، وبصفة خاصة قبل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، لأن هذه المنطقة اتخذت اسمها من القبيلة الأمازيغية ريغة، والتي ظهرت في المنطقة فيما بعد، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، مج.7، ج.13، ص.98.

شحيحة إن لم نقل منعدمة، وسنحاول استنباط لمحة عامة عن الحياة في هذه المنطقة من خلال الكتاب اليونانيين القدامى، وذلك من خليل حديثهم عن الصحراء في العصر القديم.

لقد عرف المغرب القديم عدة مجموعات بشرية أهمها: المور، وقبائل البقواط، وقبائل البوار، والنوميدون، والجيتوليون الذين نرجح أنهم سكنوا منطقة وادي ريغ، ذلك أن إطارهم الجغرافي تمثل في السهوب والمرتفعات الجنوبية وحواف الصحراء الشمالية، أي إقليم الانتقال الطبيعي بين التل والصحراء المتميز بالاقتصاد الرعوي، ومنه فإن هذا الإطار يمثل إقليما انتقاليا ما بين الصحراء الكبرى و شريط التل الساحلي محتويا على الواحات والوديان والشطوط والمرتفعات[34].

ولا نستبعد أيضا تواجد البدو[35] بهذه المنطقة في نفس الفترة، إذ مارسوا حياة الرعي ولم يعتمدو على غيرها في معيشتهم، وهم الذين عرفوا بتنقلاتهم بين المراعي الصحراوية ومناطق الانتجاع في السهوب الشمالية، بل إن من البدو من كان يمارس التجارة، مشكلا همزة وصل بين مراكز التبادل في الشمال و واحات الصحراء الكبرى[36].

أما في فترة الاحتلال الروماني للمغرب القديم، فإنه لم يثبت أن الرومان قد احتلوا منطقة وادي ريغ، فهم في توسعهم لم يتجاوزوا منطقة الزاب، حيث اكتفوا بإنشاء معاقل لهم في وادي جدي عند بسكرة[37]، فالصحراء لم تكن مغرية للرومان، فضلا عن كونها مجاهل محفوفة بالأخطار، وليس فيها من السكان والموارد ما يسوغ المغامرة في رمالها إلى أبعد من حافّتها الشمالية[38].

---

34 شنيتي، مرجع سابق، ص.165.

35 إن المقصود بالبدو في هذه الفترة، هو القبائل البربرية التي كانت تسكن في الخيام، واضطرت إلى التنقل إلى المناطق الصحراوية، الواقعة ما وراء خط الليمس، الذي أنشأه الرومان، للمزيد من المعلومات، ينظر:
محمد البشير شنيتي، **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني) ومقاومة المور**، ج.1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص ص.307-312.

36 شنيتي، **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية**، مرجع سابق، ص ص.236-237.

37 أحمد الشنتاوي، ابراهيم زكي خوشيد، عبد الحميد يونس، **دائرة المعارف الإسلامية**، مراجعة: محمد مهدي علام، دار المعرفة، بيروت، د.ت، مج .10، ص.319.

38 إسماعيل العربي «**مسالك الإسلام و العروبة إلى الصحراء الكبرى**» في **الثقافة**، ع.62، السنة 11، ربيع الثاني، جمادى الأولى والثانية، 1401 هـ / مارس – أفريل 1981م، ص.43.

وهكذا، فعلى الرغم من أن الطبيعة الصحراوية حالت دون تواجد روماني بشري في الواحات، إلا أن هذه الأخيرة كانت تمثل أسواقا هامة للتبادل التجاري مع الشمال الخاضع للسيطرة الرومانية[39].

الخاتمة:

عرفت منطقة وادي ريغ الحياة، وتواجد الإنسان في فترة مبكرة تعود إلى عصر ما قبل التاريخ، ولا أدل على ذلك المواقع الأثرية العديدة والمتنوعة، والمواد التي اكتشفت بها في مختلف ربوع وادي ريغ، فإنسان هذه المنطقة عرف الحضارة، ولم يكن بمعزل عن بقية المناطق الأخرى من الجزائر، والتي عرفت بدورها ازدهارا حضاريا، خاصة منطقة تبسة القريبة نسبيا من منطقة وادي ريغ، والتي عرفت ما يسمى بالحضارة العاترية.

قائمة المراجع:

) أشرف صالح محمد « **المراكز الثقافية في دار السلطان(الجزائر)أواخر العصر التركي**» أمارابك، مج.4، ع.7، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، 2013م

2) الجيلالي عبد الرحمان «**الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا**»، مجلة الأصالة، ع.8، الجزائر، 1982م.

3) العيد مسعود «**حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**»، مجلة سيرتا، السنة الثانية، ع.3، ماي 1980م.

4) ناصر الدين سعيدوني «**الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي**» مجلة الأصالة، ع.90/89، الجزائر، 1981م.

5) ناصر الدين سعيدوني "**الأوقاف بفحص مدينة الجزائر**" مجلة دراسات إنسانية، عدد خاص بالوقف، ماي 2001م.

6) ناصر زكية زهرة « **الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر**» مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، 2001م.

7) فلة القشاعي موساوي « **أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني** » مجلة دراسات إنسانية، ماي 2001م، الجزائر.

8) خديجة بقطاش« **أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830م**» مجلة الثقافة، ع.62، الجزائر 1981م.

9) جمال قنان « **أوضاع الجزائر عشية الغزو الفرنسي**» مجلة الذاكرة، ع.6، نوفمبر2000م.

10) يحي بوعزيز « **أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين**» مجلة الثقافة، ع.63، ماي 1981م.

39 محمد البشير شنيتي «**التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري، وآثاره الاقتصادية والاجتماعية**» في **الأصالة**، عدد خاص، ص.24.